

## وصايا النساء والهداء (الزواج) في العصر الجاهلي دراسة تحليلية

م. م. جمانة محمد نايف الدليمي (\*)

### ملخص البحث

نظرا لما يتمتع به موضوع الوصايا في العصر الجاهلي من أهمية فائقة نابغة من العادات والتقاليد التي كانت سائدة آنذاك، وبسبب الحاجة إلى الإقتداء بذلك الجيل في كثير من الخصال والصفات التي اكتسبها والتي عززها الإسلام فيما بعد، ارتأينا الخوض في غمار هذا الموضوع من خلال الحديث عن جانب مهم من جوانب الحياة والتي لها علاقة مباشرة ببناء أسرة متماسكة تكون نواة لمجتمع متماسك مبني على أساس الألفة والمحبة والتعاون والاحترام، فكان موضوع " وصايا النساء والهداء (الزواج) في العصر الجاهلي " بما فيه من نصائح وإرشادات اشتملت عليها الوصايا التي أدرجناها بين طيات البحث محاولة للتذكير بموروثنا الأدبي والأخلاقي والعودة إلى ما كان يتمتع به أجدادنا من حكمة وبلاغة استخدموها لتنظيم حياتهم بالشكل الصحيح.

### Abstract

As this topic gets a greet importance coming from traditions and customs at that time and due to the need to follow this generation with so many characters and features in which Islam has enhanced later. Thus, we tackled this topic by speaking about an important side of life which has a direct connection with building a family based on harmony, love, cooperation and respect. This topic has advises and guides mentioned in this paper trying to remember our literary and

(\*) مدرس مساعد، قسم الدراسات الإجتماعية والإقتصادية، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل.

## وصايا النساء والهداء (الزواج) في العصر الجاهلي

م. م. جمانة محمد نايف الدليمي

moral heritage and to comeback to the wisdom of our grandfathers who used these things to organize their life correctly

### المقدمة:

إن الأدب المنحدر إلينا من الجاهلية إنما يدل على ثقافة واسعة وخبرة نادرة ووعي بالغ لكل موقف من مواقف الحياة ، ولهذا الأدب طابعه المميّزة وسماته المخصوصة التي قلما نجد مثيلاً في وقتنا الحاضر.

إن هذا البحث الموسوم (وصايا النساء والهداء في العصر الجاهلي/ دراسة تحليلية) نحاول من خلاله العودة إلى مجموعة من القيم والمفاهيم التي زخر بها الأدب الجاهلي. والتي تكاد تكون غابت عن الفكر الإنساني للمواطن العربي، أو وصلت إلى مرحلة الضياع من مخيلة ألام العربية في الوقت الحاضر، بسبب انشغال الأم بتعقيدات الحياة وابتعادها عن رسم أوجهه الصحيحة لابنتها في بيت الزوجية. فضلاً عن انجراف أكثر الأمهات وراء المظاهر الكاذبة الدخيلة على مجتمعنا العربي فبدلاً من أن تهدي للرجل زوجة صالحة تعينه على صروف الدهر وتقلباته تعطيه امرأة تعين الدهر عليه. الأمر الذي أضحى سبباً مباشراً في ضياع وتفكك أسر كثيرة نتيجة قلة الوعي وفقدان الموجه للمشاكل التي تعترى الأسرة.

تقدم البحث تعريف موجز في معنى الوصية في اللغة والاصطلاح، تبعه تعريف موجز لمعنى الهداء، وأشتمل في طياته على مجموعة من الوصايا التي تقدم بها الآباء والأمهات لأبنائهم وبناتهم في الجاهلية والتي أقر الإسلام قسماً كبيراً من مضامينها، مثل طاعة الزوج، التطيب بالماء والتزين بالكحل، والحجاب...

إن السبب الرئيس لاختيار هذا الموضوع بالذات من بين الكم الهائل من صنوف الأدب الجاهلي الذي وصل إلينا، هو تفشي ظاهرة الطلاق، وفقدان التواد والترحم بين الزوج والزوجة، في محاولة متواضعة من جانبنا للرجوع إلى موروثنا الأدبي المليء بالقيم والمفاهيم التي يمكن اعتبارها ركيزة أساسية لبناء حياة زوجية على أسس متينة.

## الوصية في اللغة:

وجدنا في المعاجم العربية معانٍ متعددة لمفردة (وصى). فقد وردت بمعنى : وصل، من قولنا : وصيت الشيء إذا وصلتته، ووصيت الليلة باليوم إذا وصلتتها<sup>(١)</sup>. ونبت واصٍ، أي متصل، من قولنا: قطعنا أرضا واصيةً، أي إن نبتها متصل قد امتلأت منه<sup>(٢)</sup>.

وسميت الوصية بهذا لاتصالها بأمر الميت<sup>(٣)</sup>، كأنه كلام يوصى: أي يوصل ، يقال : وصيته توصية، وأوصيته إيصال<sup>(٤)</sup>.

والوصي؛ الذي يوصي، وكذلك الذي يوصى له، فهو من الأضداد<sup>(٥)</sup>. والوصية؛ العهد، وأوصى الرجل ووصى توصيةً، عهدًا؛ والاسم؛ الوصاة بفتح الواو، والوصاية بكسرها ، والوصية<sup>(٦)</sup>.

أما في الاصطلاح؛ فالوصية؛ ما يوصي به المرء - ذكرا كان أو أنثى - أهله وذويه عندما ينزل به حدث الموت أو يستشعره، فيما يتصرفون به مما ترك لهم من مال أو متاع، لإيفاء دين أو سد مغرم، وما إلى ذلك من الأمور التي تتعلق بذمة الموصي، وهي ما تسمى بالوصية الشرعية<sup>(٧)</sup>.

ويقول الأمير أسامة بن منقذ<sup>(٨)</sup>: الوصية وصيتان، وصية الإحياء للأحياء، وهي أدب، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وتحذير من زلل، وتبصره بصالح عمل. ووصية الأموات

للأحياء، عند الموت، بحقٍ يجب عليهم أدائه، ودين يجب عليهم قضاؤه.

أما الهداء في اللغة فقد تعددت معانيه وتنوعت ولا يسعنا المجال لذكرها جميعا لذا سنكتفي بذكر ما يخص موضوع بحثنا هذا: الهدى والهدية العروس .

والهداء مصدر قولك هدى العروس، وهدى العروس إلى بعلها هداء وأهداها واهتداها، واهتدى الرجل امرأته إذا جمعها إليه وضمها وهي مهدية وهدى أيضا<sup>(٩)</sup>.

## الوصايا في العصر الجاهلي:

## وصايا النساء والهداء (الزواج) في العصر الجاهلي

م. م. جمانة محمد نايف الدليمي

تعددت الوصايا في العصر الجاهلي وتتنوعت أغراضها على وفق الحدث المرتبط بها. واختلفت عن غيرها من صنوف الأدب، لأنها كانت نابعة من تجارب الإنسان وخبرته في الحياة. فالموصي يضع في وصيته عصارة فكره وخلاصة تجاربه في الحياة. فنراه يأتي في وصيته بجمل قصيرة مركزة، تحمل ابلغ المعاني، وأسمى القيم، ليضعها نصب عين الموصى له الذي هو الأعز لديه، والأقرب إلى قلبه، والأحب إلى نفسه، والوصية وان كانت تخرج لشخص واحد، فهي يمكن أن تفيد مجتمعا كاملا ويمكن عدها مرجعا يفيد كل من يحتاج إلى النصح والإرشاد. ومن خلال استقراء الوصايا في العصر الجاهلي نجد أن صاحب كتاب "جمهرة وصايا العرب"<sup>(١٠)</sup> قسمها إلى ستة أنواع وهي:

- ١- وصايا الملوك إلى أولياء العهد أو من يقوم مقامهم.
- ٢- وصايا الحكماء إلى أبنائهم وأبناء العشيرة وغيرهم.
- ٣- وصايا الآباء للأبناء وأبناء الأبناء.
- ٤- وصايا الهداء (الزواج). وهي موضوع بحثنا هذا.
- ٥- وصايا السفر والمسافرين.
- ٦- وصايا الحرب.

### • وصايا الهداء (الزواج):

نجد هذا النوع من الوصايا يقدمه الأب الحكيم أو الأم البليغة لابنتهما عند الزواج. فالفتاة تربي في بيت أبيها على طبائع معينة وعادات وتقاليد وقيم تختلف باختلاف البيئة، وتتباين من بيت لآخر، فحين تنتقل الفتاة إلى بيت زوجها من المؤكد أنها ستجد طبائع وقيما وعادات تختلف اختلافا قد يكون جذريا عن الذي تربت عليه. وهنا نجد دور الأب وألام ليضعا أمام ابنتهما الخطوط العريضة لبناء حياة هانئة من خلال تجربة الأب أو ما مرت به الأم وما واجهته من خلال معاشرتها للأب، وكيفية تعاملهما مع بعضهما وكيفية العمل لضمان ديمومة العشرة والحفاظ على الحياة الزوجية، ومراعاة كل طرف للآخر.

إن الرجل وان كان بحاجة إلى وصية تبين له كيفية التعامل مع زوجته لضمان حياة مستقرة هانئة هادئة مع زوجته، إلا إننا لم نجد أما أو أبا يختصن ابنتهما بهذا

وصية. ولكننا وجدنا في أثناء عدد من الوصايا أبا يوصي ابنه باختيار الزوجة الصالحة ذات الحسب والنسب والرفعة والشرف، لان هذا سيعود بالمستقبل على أبنائه وأحفاده، ويحذره من الأنجرار وراء الشكل وإهمال الجوانب الأكثر أهمية ألا وهي النسب والأخلاق، فجمال الوجه لا يجدي نفعا إذا لم تزينه رفعة الأصل وشرف النسب وكمال الأدب. فجدد اكنم بن صيفي<sup>(١١)</sup> يشدد على هذا الأمر فيقول<sup>(١٢)</sup>:

(يا بني لا يغلبنكم جمال النساء عن صراحة النسب، فإن المناكح الكريمة مدرجة للشرف)

وفي ثنايا وصية أخرى نراه يحذر من زواج الحمقاء فيقول<sup>(١٣)</sup> :

(واياكم ونكاح الحمقاء، فإن نكاحها غرر، وولدها ضياع).

وتوافق رأي عوف ابن كنانة<sup>(١٤)</sup> مع رأي اكنم بن صيفي في اختيار الزوجة ذات الحسب فيقول في أثناء وصيته لأبنائه<sup>(١٥)</sup> :

(ولا يخلجنكم جمال النساء عن صراحة النسب، فان مناكحة الكرام مدارج الشرف)

وأكد القلمس<sup>(١٦)</sup> كلام اكنم بن صيفي وزاد عليه قولاً حكيماً، ورأياً سديداً، في اختيار المرأة الكفاء ذات الطهر والعفاف وان كانت من قوم آخرين، فهذا لا يمنع أن يختار من هي من أشرف قومها، وأحسنهم أخلاقاً، ولم يرغب عنه أن يذكر كيفية التعامل مع الزوجة الغربية. فأكد على غلو صداقها و تكريمها وعدم حرمانها مما هو لها، وان تصرف إلى أهلها وهي في أبهى حلة وأكرم حالة، ولا تتقصها حاجة، فهذا يعلي من شان الرجل وقومه عند قومها، ويرفع مكانتهم. كما يؤكد القلمس على ستر المرأة واحتجابها- وهذا أمر أقره الإسلام بظهوره وشدد عليه-. كما أكد عدم تزويج الفتاة إلا لمن هو كفاء لها. فيقول<sup>(١٧)</sup>:

(أوصيكم بأيامكم خيراً، شددوا حجبهن، وانكحوهن اكفاءهن، واپسروا الصداق بينكم، تتفق أيامكم، ويكثر نسلكم، فإن نكحتم في العرب فاختراروا ذوات العفاف والحسان أخلاقاً، فإنكم لما يكون منهم احمد من غيركم، وإنهم راعون فيمن بقي من نساءكم مثل ما رأوا فيمن جاء منهن، وإذا نكحتم الغربية فاغلو صداقها، وتزوجوا من أشرف القوم، ثم أكرموا مثوى حاجاتكم ما كانت فيكم، ولا تحرموها إذا انصرفت إلى قومها مالها، لا تتقصوها من شيء

## وصايا النساء والهداء (الزواج) في العصر الجاهلي

م. م. جمانة محمد نايف الدليمي

يكون لها، فان كريمة القوم إذا رجعت إليهم قليلا متاعها، ظاهرة حاجتها، غير راجعة فيكم  
(غيرها)

كما نجد زرارة بن عدس<sup>(١٨)</sup> يشترط على تزويج الفتاة ممن هو كفاء لها ويدرج هذا  
الشرط بين سطور وصيته فيقول<sup>(١٩)</sup>:

(يا بني، زوجوا النساء الأكفاء، وإلا فانتظروا بهن القضاء).

هذه هي السياقات العامة التي حددها الموصون في اختيار الزوجة الكفاء ومما لم  
يختلف عليه اثنان، فقيمهم وعاداتهم أوجبت عليهم وضع شروط وحدود لاختيار شريكة  
الحياة ولا يجوز لأحد التغافل عن هذه الشروط أو تجاوزها.

أما وصايا الهداء فقد تنوعت مضامينها وتعددت أغراضها، لكن جميعها تصب في  
بناء أسرة متماسكة، وترمي إلى تذليل الصعوبات ومتاعب الحياة، وإدامة التآلف والتسامح  
بين الطرفين.

وأول وصية آثرنا أن نبدأ بها وندخل إلى تفصيلاتها ونخوض في دقائقها ونبين ما  
اشتملت عليه من عبر ونصح وإرشاد قد لا نصادف مثيله في وصايا أخريات، هي وصية  
إمامة بنت الحارث<sup>(٢٠)</sup> لابنتها عند هداها إلى الحارث بن عمرو الكندي<sup>(٢١)</sup>: احد ملوك  
اليمن.

وإمامة هذه يقول عنها الإخباريون أنها فصيحة نبيلة، كانت عند عوف بن ملح  
الشيبياني- احد أشراف العرب في الجاهلية- وقد قدم الإخباريون لهذه الوصية بمقدمة مفادها  
أن الحارث بن عمرو الكندي بلغه عن ابنة إمامة هذه جمالا وكمالا، فأرسل امرأة اسمها  
عصام تتفحصها، فعادت إليه، فوصفتها له وصفا حسيا دقيقا، فأرسل وراء أبيها يخطبها،  
فزوجها إياها<sup>(٢٢)</sup> فقالت أمها توصيها عند هداها<sup>(٢٣)</sup>:

(أي بنية، إن الوصية لو تركت لعقل وأدب أو مكرمة في حسب لتركت ذلك منك،  
ولزويته عنك، ولكن الوصية تذكرة للعاقل، ومنبهة للغافل. أي بنية، انه لو استغنت المرأة  
بغنى أبويها، وشدة حاجتها، كنت أغنى الناس عن الزوج، ولكن للرجال خلق النساء،  
كمالهن خلق الرجال)

استهلّت أمّ وصيتها لابنتها بعبارات قصيرة، سلسلة، عميقة المعنى. غنية بالموعظة الحسنة. فيها ما يشبه المديح. أو هو المديح ذاته. فالأم هنا مدركة تمام الإدراك بان لابنتها من العقل والحكمة والرشد والكمال والأدب ما يغنيها عن أي نصح يمكن أن يقدمه احد لها ولكنها آثرت أن توصيها لعلها تغفل عن أمر بسيط قد يكون مردوده كبيراً. فهنا أرادت الأم أن تصون ابنتها من مغبة الوقوع في أي خطأ وان كان يسيراً. ثم تعود الأم لتبين لابنتها أن الحاجة إلى الزوج، ليست حاجة مادية فحسب، فلو أن الأمر يتعلق بالفقر والغنى فهي أغنى الناس عن الزوج. ولكن الزواج هو سنة الحياة. فالنساء خلقن للرجال وبالعكس.

بعد هذه المقدمة الغنية بالدلالات والعبر، عادت الأم الفطنة العاقلة إلى خبرتها وتجربتها لتستقي منها عبراً ومواعظ تفيد ابنتها التي ستنتقل للعيش في بلاط رجل لا تعرف شيئاً عن طبائعه وعاداته وسلوكه، وذلك بعد أن تفارق أحضان أمها وأبيها وتغادر جدران البيت الذي درجت فيه والفته، إلى قرين لم تألفه. إن أول طلب طلبته الأم من ابنتها هو طاعة زوجها لكسب رضاه، فان صارت له امة صار لها عبداً، فتقول:

(أي بنية انك قد فارقت الحواء الذي منه خرجت، والوكر الذي منه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك ملكاً، فكوني له امةً يكن لك عبداً) ثم أمرتها أن تحفظ عنها خصالاً عشرين. تكون لها موعظة وذكرى، وهنا اختارت الأم في كلامها الجمل القصيرة كما نجد فيه السجع والإيقاع الجميل، وتحسن اختيار عباراتها، وتصدر أقوالها عن ذكاء وفطنة، فتقول:

(واحفظي عني خصالاً عشرين، تكن لك دركا وذكرًا: فأما الأولى والثانية، فالمعاشرة له بالفنائة، وحسن السمع له والطاعة، فان في الفنائة راحة القلب، وحسن السمع والطاعة رافة الرب. وأما الثالثة والرابعة، فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشم انفه منك إلا طيب الريح، واعلمي -أي بنية- أن الماء أطيّب الطيب المفقود، وان الكحل أحسن الحسن الموجود.

## وصايا النساء والهداء (الزواج) في العصر الجاهلي

م. م. جمانة محمد نايف الدليمي

وأما الخامسة والسادسة، فالتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهية، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة، فالاحتفاظ بماله، والرعاية على حشمه وعياله، فإن الاحتفاظ بالمال من حسن التقدير والرعاية على الحشم والعيال من حسن التدبير. وأما التاسعة والعاشر، فلا تقشي له سرا، ولا تعصي له أمرا، فانك إن أفسيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره).

هذه الخصال التي أوصت ألام ابنتها بالتزامها، جاءت بعبارات واضحة ومعان يسيرة تعد بمثابة ركيزة أساسية لبناء حياة زوجية مؤداها المحبة والتعاون والانسجام بين الطرفين. وتختم ألام وصيتها وهي تحذر ابنتها من الوقوع في مالا تحمد عقباه ويكون معه ما لا تريده من فراق قد لا يكون بعده عودة، وكدر لا تقام بعده صفوة، وذنب لا ينفع بعده ندم. (واتقي الفرح لديه إذا كان ترحا، والاكتئاب عنده إذا كان فرحا، فإن الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، واعلمي انك لن تصلي إلى ذلك منه حتى تؤثري هواه على هواك، ورضاه على رضاك فيما أحببت وكرهت، والله يخير لك، ويصنع لك برحمته). وحسبما نقل الرواة<sup>(٢٤)</sup>: أن بنت إمامة هذه قد غلبت على أمر الملك وولدت له سبعة أملاك ملكوا بعده.

أما الوصية الثانية التي نروم التحدث عنها. فهي وصية عامر بن الظرب العدواني<sup>(٢٥)</sup> لابنته عمرة التي زوجها لابن أخيه. وهذه الوصية تختلف في مضامينها عما سبقها من الوصايا لسببين:

- ١- إنها صدرت من الرجل وهو الأب لابنته.
- ٢- إن عمرة هذه لم توفق في زواجها من ابن عمها فخلعت منه، وكان هذا أول خلع في العرب. وتلاه في الإسلام خلع حبيبة بنت سهل من زوجها ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري على يد رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم). وكان أول خلع في الإسلام على ما ورد في مسند الإمام احمد.



يفتح عامر بن الطرب العدوانى وصيته بمسألة نجد أن اغلب الموصين متفقون عليها وهي كثرة استخدام الماء، فانه جلاء للجسم مما يتعلق به من دهون وروائح غير مرغوب فيها. ونقاء للبشرة وهو أطيب الطيب. ولا تكون النظافة إلا معه. يقول<sup>(٢٦)</sup>:

(يا هذه مري ابنتك. فلا تنزلن فلاة إلا ومعها ماء، وان تكثر استعمال الماء، فلا طيب أطيب منه، وان الماء جعل للأعلى جلاء، وللأسفل نقاء).

ثم يعود الموصي ليحذر ابنته من أن يغلب هواها على هوى زوجها. أو أن تميل إلى رأيها لتفرضه على رأيه. ففي اعتقاده. انه لا رأي لامرأة أمام رأي زوجها ولا وصية.

(واياك أن تميلي إلى هواك ورأيك، فانه لا رأي للمرأة، وإياي ووصيتك، فانه لا وصية لك)

من الملاحظ في هذه الوصية أن الأب لا يتحدث مباشرة إلى ابنته، -وهذا من باب الحياء- وإنما يبلغ زوجته بما يجب على ابنته فعله لتستمر حياتها وتستقر مع زوجها.

ثم يمضي الموصي في رسم الطريق الامثل لابنته لبناء أسرة تكون ركائزها متينة وأساسها المحبة والتالف، فيبين لها أن حب الزوج شيء جميل. وان كرامتها لا تكون مصانة ألا مع زوجها. ثم يحذر الأب من أمرين قد يرى البعض انه متناقض فيهما ولكنه أعطى لكل واحد منهما تبريرا منطقيا معقولا نراه محقا جدا فيه. الأول: أن لا تمنع زوجها منها حين شهوته. فان رضا الزوج عن زوجته مقرون بإتيانها وقت لذته. ففيه راحة النفس والبدن. والثاني: أن لا تكثر مضاجعته. وان لا تكون مبتذلة في نفسها فيمل منها زوجها. فإذا مل الجسد مل معه القلب.

(اخبري ابنتك أن العشق حلو، وان الكرامة المؤتاة، فلا تستكرهن زوجها من نفسها، ولا تمنعه عند شهوته، فان الرضا الإتيان عند اللذة، ولا تكثر مضاجعته، فان الجسد إذا مل مل القلب. ومريها فلا تمزحن معه بنفسه، فان ذلك يكون منه الانقباض، ومريها فلتخبا سوءتها منه، فانه وان لا بد من أن يراها، فان كثرة النظر إليها استهانة وخفه)

إن الحدث الذي ارتبط بهذه الوصية على ما ذكرت سابقا هو الخلع، إذ أن عمرة هذه لم توفق في زواجها فنفرت من زوجها ولم ترده، فقد ذكر النقلة أن زوجها - ابن أخ الموصي - شكا إلى عمه ابنته فقال له:

## وصايا النساء والهداء (الزواج) في العصر الجاهلي

م. م. جمانة محمد نايف الدليمي

(يا ابن أخي، إنها وإن كانت ابنتي، فإن لك نصيبا مني، فاصدقني، فإنه لا رأي لمكذوب، فإن صدقتني صدقتك، إن كنت نفرتها فذعرتها، فاخض عصاك عن بكرتك تسكن، وإن كانت نفرت من غير أنفار فذلك الداء الذي ليس له دواء).

ويتم بقوله: (وألا يكن وفاق ففراق، وأجمل القبيح الطلاق، ولم تترك اهلك ومالك، وقد خلعتها منك بما أعطيتها، وهي فعلت ذلك بنفسها)

أما قيس بن مسعود الشيباني<sup>(٢٧)</sup> فنراه يختصر وصيته لابنته عند هداها إلى لقيط بن زرارة<sup>(٢٨)</sup> بجمل قصيرة بليغة يتفق في مقدمتها مع إمامة بنت الحارث في وصيتها لابنتها بقوله<sup>(٢٩)</sup>: (يا بنية كوني له أمة يكن لك عبدا). ونراه يتفق كذلك مع اغلب الموصين بمسالة كثرة استخدام الماء والتطيب منه. ولكننا نرى اختلافا كبيرا في مضامين هذه الوصية عن الوصايا آنفة الذكر. والاختلاف هذا يكمن في كون لقيط بن زرارة رجل حرب ومن المحتمل أن يقتل أثناء أية معركة يخوضها، وقد حدث ذلك فعلا. فيوصيها قائلا:

(ثم لا اذكرت ولا أيسرت، فانك تلدين الأعداء، وتقربين البعداء، إن زوجك فارس من فرسان مضر، فإن كان كذلك، فلا تخمشي وجهها ولا تقصي شعرا)

والذي يبدو أن هذه المرأة كانت على وفاق تام مع زوجها لقيط، ومع إحمائها، فقد روت الأخبار انه لما قتل عنها زوجها، تحملت إلى أهلها، ثم مالت إلى مجلس عبد الله بن دارم<sup>(٣٠)</sup> فقالت: (نعم الإحماء كنتم يا بني دارم، وأنا أوصيكم بالقرائب خيرا، فلم أر مثل لقيط، ثم لحقت بقومها).

وثمة وصيتان أخريان ذكر صاحب جمهرة وصايا العرب أنهما كانتا بين الجاهلية والإسلام. أولهما لرجل أدرك الإسلام ولم يسلم وهو الفرافصة الكلبي<sup>(٣١)</sup> وابنته نائلة زوج عثمان بن عفان (رضي الله عنه). ووصيته لا تتعدى مسألتين وجدناهما في اغلب الوصايا التي مر ذكرها. وهما الكحل والماء. وقد ركز الموصي على هاتين المسألتين لأن ابنته ستنتقل للعيش مع نساء قد يختلفن عن نساء بلدها. فأرادها أن تتغلب عليهن بهما. فيقول<sup>(٣٢)</sup>: (يا بنية أنك تقدمين على نساء من قريش، وهن اقدر على الطيب منك فلا تغلبي على خصلتين، الكحل والماء، تطهري حتى يكون ريحك ريح شن أصابه المطر)

والوصية الأخيرة التي سنتحدث عنها هي وصية انفردت انفرادا تاما بمضمونها. وذهبت فيها الأم شأوا بعيدا لم يذهب إليه موصون آخرون. فهي تحذر ابنتها من أن يكون زوجها من الوهن والضعف ما يجعله يفقد رجولته. ففي العصر الجاهلي وحتى في الإسلام . كان أعلى ما يمتلكه الرجل عدة حربه من سيف ورمح وفرس. فان هانت عليه هذه العدة، هان عليه أي شيء آخر. وحذرتها من أن يغلب هواها على هواه ويميل إلى رأيها. وان يغلبه جمالها فيكون ضعيفا أمامها. والآن في عصرنا الحاضر نحن بأشد وأمس الحاجة إلى مثل هكذا وصايا ، ليس للنساء والبنات فقط ، إذ نجد الكثير من الرجال اخذوا مسعى غير المسعى الذي رسمه لهم ديننا الإسلامي من أخلاق وصفات حميدة، كما يجب على الرجل أن لا يطيع زوجته في كل ما تقوله، ونستشهد على ذلك بقول للخليفة عمر بن الخطاب يقول فيه: "أكثروا لهن من قول لا"، وللرجوع إلى الوصية نجد الأم توصي ابنتها قائلة<sup>(٣٣)</sup>: (اقلعي زج رمحه، فان اقر فاقلعي سنانه، فان اقر فاكسري العظام بسيفه، فان اقر فاقطعي اللحم على ترسه، فان اقر فضعي الآكاف على ظهره فإنما هو حمار) كانت هذه آخر وصية وجدناها في الكتب تخص موضوع الهداء (الزواج). وتميزت هذه الوصايا بجمل قصيرة مركزة ذات معان ودلالات عميقة. قد يتفق الموصون في بعض مضامينها، ويختلفون في مضامين أخرى. ولكن جميعها كانت ترمي إلى وضع صيغة عملية للتألف والتفاهم والتواد بين الزوجين والذي يؤدي إلى بناء حياة على قواعد سليمة وأسس متينة، لا يشوبها الكدر. وبالتالي إلى بناء مجتمع متماسك قوامه الأخلاق والروابط القوية بين أفرادها. وهذا ما جاء الإسلام ليقره ويؤكد من خلال القران الكريم والسنة النبوية الشريفة.

### الخاتمة:

من خلال ما تطرقنا إليه في هذا البحث وما رأيناه من وصايا خرجنا بجمل من النتائج يمكن أجمالها بالآتي:

١- كان للمرأة في العصر الجاهلي وحتى في الإسلام مشاركة بارزة في النتاج الأدبي، مما يخالف النظرة السائدة التي ترى أنها لم تتحرر إلا في هذا العصر. فلو لم تكن

## وصايا النساء والهداء (الزواج) في العصر الجاهلي

م. م. جمانة محمد نايف الدليمي

للمرأة حريتها وشخصيتها المفروضة بقوة على المجتمع لما وصل إلينا هذا الكم الهائل من أدب المرأة.

٢- ما وجدناه من مفاهيم وقيم في هذه الوصايا جاء الإسلام ليقره ويؤكد كمسالة الحجاب التي شدد عليها القلمس في وصيته، وكذلك التطيب بالماء الذي أكد عليه اغلب الموصين، والأمر الأهم الذي هو احترام الزوج والنزول عند رغباته، وغيرها من الأمور.

٣- إن للمرأة دورا كبيرا في حياة الرجل -الزوج- فوجودها يجب أن يكون دافعا له نحو الأمام، وان نشد من أزره على مواجهة الصعاب ، وما أكثرها في عصرنا الحالي، اذ يجب أن تكون له عوناً على مصاعب الدهر وويلاته.

٤- يجب على المرأة في عصرنا الحالي من الرجوع إلى الوراء والاستزادة من المثل والقيم التي كانت تتمتع بها المرأة العربية في العصر الجاهلي وعصر الإسلام لمواجهة التحديات الخطيرة المحدقة بالأمة العربية و المرأة العربية تحديداً، بسبب ما يروج له الغرب من دعاية لإعطاء المرأة حريتها المطلقة متناسية الحرية التي وهبها لها الإسلام، فيجب على المرأة العربية المسلمة أن لا تتجرف وراء الدعوات المبطننة الرامية إلى مساواة الرجل بالمرأة، لان ذلك هدم لمبادئ جاء بها الإسلام وأعطى فيها الحق للمرأة للعيش بعز وكرامة في بيت أبيها أو بيت زوجها.

### هوامش البحث:

- (١) لسان العرب، لابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، (٦٣٠-٧١١هـ)،  
الدار المصرية للتأليف والترجمة، ٢٠/٢٧٤، تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي  
الفيض محمد مراضي الزبيدي، (١٢٠٥هـ) : ٣٩٢/١٠.
- (٢) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن احمد بن فارس بن زكريا، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد  
السلام محمد هارون: ٦/ ١٦٦.
- (٣) لسان العرب، ٢٠/٢٧٤، تاج العروس، : ٣٩٢/١٠.

- (٤) معجم مقاييس اللغة، : ١٦٦/٦.
- (٥) لسان العرب، : ٢٧٣/٢٠.
- (٦) المصدر نفسه، ٢٧٤/٢٠.
- (٧) لباب الاداب، للأمير أسامة بن منقذ (٤٨٨-٥٨٤هـ)، دار الكتب العلمية،(بيروت- ١٩٨٠)، ص ١.
- (٨) المصدر نفسه، ص ١.
- (٩) لسان العرب، (هدى) : ٢٣٤/٢٠.
- (١٠) جمهرة وصايا العرب، جمع وتحقيق محمد نايف الدليمي، دار النضال، (بيروت- ١٩٨٠)، ص ١.
- (١١) اكرم بن صيفي بن رياح بن مخاشن بن معاوية التميمي، حكيم العرب في الجاهلية واحد المعمرين، عاش زمنا طويلا و أدرك الإسلام، وقصد المدينة في جمع من قومه يريدون الإسلام فمات في الطريق، ولم ير النبي محمد صلى الله عليه وسلم، واسلم من بلغ المدينة من أصحابه وهو المعني بالآية الكريمة ((ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله))، ينظر عنه: جمهرة انساب العرب، ابن حزم القرشي، (مصر-١٩٤٨)، ٢٠٠. الأعلام، خير الدين الزركلي، ط ١، ٣/٣٤٤.
- (١٢) المعمرين والوصايا، لأبي حاتم السجستاني، تحقيق عبد المنعم عامر، ١٥.
- (١٣) مجمع الأمثال، ١٨٢/٢-١٨٣.
- (١٤) عوف بن كنانة، لم تتوفر لدينا ترجمة عنه في كتب التراجم التي وقفنا عليها.
- (١٥) المعمرين والوصايا، ١٣٥-١٣٦.
- (١٦) القلمس بن أمية بن عوف الكناني، أبو ثمامة، من بني الحارث بن مالك بن كنانة، آخر من نسا الشهور في الجاهلية. والنساء في اللغة: التأخير، كان اسمه (جنادة) والقلمس لقبه ومعناه السيد أو الداهية بعيد الغور، يلقب به كل من نسا الشهور، وهو من الخطباء والوعاظ قبل السلام، ينظر عنه، الأعلام، ٥١/٦.

## وصايا النساء والهداء (الزواج) في العصر الجاهلي

م. م. جمانة محمد نايف الدليمي

- (١٧) المعمرون والوصايا، ١١١.
- (١٨) زرارة بن عدس بن زيد بن عبدالله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، جد جاهلي، بنوه بطن من بني دارم من تميم من عدنان، كان حكما من قضاة تميم، ينظر عنه، الأعلام، ٣/٧٥-٧٦. نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، للقلقشندي، بغداد، ٢٤٢.
- (١٩) المعمرون والوصايا، ١٢٠-١٢١.
- (٢٠) امامة بنت الحارث الشيبانية، فصيحة نبيلة جاهلية، كانت زوجة عوف ملحم الشيباني، لها وصية تعد من أفضل ما قيل في موضوعها أوصت بها ابنة لها تزوجها ملك كندا الحارث بن عمرو، ينظر عنها: مجمع الأمثال، للميداني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت، دار المعرفة)، ٢/١٤٣. الأعلام، ٣٥١/١.
- (٢١) الحارث بن عمرو الكندي: الحارث بن عمرو بن عدي بن نصر اللخمي، من ملوك الدولة اللخمية في الحيرة ولي بعد موت أخيه امرؤ القيس وطالت مدته، ينظر عنه: الاعلام ٢/١٥٨.
- (٢٢) المعمرون والوصايا : ١١٧.
- (٢٣) مجمع الأمثال، ٢/١٤٣. العقد الفريد، لابن عبد ربه الاندلسي، لجنة التغليف والترجمة والنشر، (مصر-١٣٥٩هـ)، ٦٠/٨٣-٨٤.
- (٢٤) المعمرون والوصايا، ١١٧.
- (٢٥) عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ العدوانى: احد الحكماء الخطباء الرؤساء في الجاهلية، كان إمام مضر وحكيمها وفارسها، وممن حرم الخمر في الجاهلية وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهما ولا بحكمه حكما، وهو احد المعمرين في الجاهلية ولم يدرك الإسلام، وهو أول من قرعت له العصا، ويلقب ذا اللحم: ينظر عنه: مجمع الأمثال : ١/٢٥. المعمرون والوصايا ٥٩. العقد الفريد : ٢/٢٥٥.
- (٢٦) المعمرون والوصايا، ٦٠.

- (٢٧) قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبد الله ذي الجدين، من بني ذهل بن شيبان: والٍ جاهلي، له شعر. كان عاملاً لكسرى هرمز بن ابرويز على (طف العراقيين) و(الابلة)، وهو أبو الشاعر الفارس بسطام الشيباني، ينظر عنه: الأعلام: ٥٩/٦.
- (٢٨) لقيط بن زرارة بن عدس الدارمي، من تميم: فارس شاعر جاهلي من أشرف قومه كنيته أبو دختنوس وهي بنته ولا عقب له غيرها ويقال له أبو سهشل، وكان دينه المجوسية: ينظر عنه الأعلام: ١٠٨/٦.
- (٢٩) العقد الفريد: ٨٥/٦.
- (٣٠) عبدالله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن تميم من عدنان جد جاهلي، كان له من الولد زيد وقته ووهب وعبد مناة وأميمة ومعاوية وأكثر نسله من زيد، ينظر عنه الأعلام: ٢١٦/٤، ونهاية الأرب: ٢٧٦، وجمهرة الأنساب: ٢٢٠-٢٢١.
- (٣١) الفرافصة الكلبي: لم تتوفر لدينا ترجمة له في كتب التراجم التي وقفنا عليها.
- (٣٢) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري، دار الكتب: ٧٦/٤.
- (٣٣) المصدر نفسه: ٧٧/٤.

وصايا النساء والهداء (الزواج) في العصر الجاهلي  
م. م. جمانة محمد نايف الدليمي

---

---